

التواصل مع الله

الأب ثيودور ستيليانوبولوس

نقلتها إلى العربية أسرة التراث الأرثوذكسي

في يوميات زماننا المضطرب الانقسامي، والذي يسميه الناس الحداثة وما بعد الحداثة، هناك الكثير المتميز بالتفكك. بسبب الأجناس المزدهمة والمشتتة التي لا تعد ولا تحصى، ناهيك عن أهوائنا الشريرة والمشاكل الاجتماعية والسياسية التي تحيط بنا، غالبًا ما يكون الزوج منقطعاً عن الشريك، أو الأب عن الطفل، أو الصديق عن صديقه، أو الجار عن جاره. التفكك يؤدي العائلات والمدارس وأماكن العمل والمجتمعات والأمم وحتى الكنائس. إن أسوأ أنواع التفكك وهو السبب الجذري لكل الأشكال الأخرى هو الانفكاك عن الله.

يعرف المسيحيون الله بشكل أساسي كما هو معلّن في شخص وحياء يسوع الناصري. بحسب الإيمان الأرثوذكسي، كل شيء في الكنيسة يبدأ وينتهي بالرب يسوع. شخص يسوع المعلوم والأشياء المحددة التي علمها وعاشها على سبيل المثال، تحدد شخصية الله وإرادته على أنها محبة وصلاح ورحمة ومغفرة ولطف وصدق وعدالة ورأفة وفرح وعطاء. إنه الإله المتجسد الابن الذي يكلمنا: "تَعَالَوْا إِلَيَّ.. وَأَنَا أَرْيَحُكُمْ.. تَعَلَّمُوا مِنِّي... فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ." (متى ١١: ٢٨-٢٩). ومرة أخرى: "أَنَا الْكَزْمَةُ وَأَنْتُمْ الْأَغْصَانُ... أُثْبِتُوا فِيَّ... أُثْبِتُوا فِي مَحَبَّتِي... فتأتون بثمر كثير" (أنظر يوحنا ١٥: ١-٩).

ولكن كيف يستطيع الإنسان، حتى لو رغب في ذلك، أن يتواصل في بيئة عالم في دوامة على المستويين الشخصي والحضاري؟ سواء كان الإنسان جديدًا أو عريقًا في الإيمان المسيحي، سواء كان علمانيًا أو كاهنًا، ما من نقطة انطلاق أخرى سوى التقييم الصادق والاعتراف بالحالة القائمة. اسأل نفسك: ما هي أهدافي؟ كيف أفكر وأعيش كل يوم؟ كيف أقضي وقتي؟ ما هو دور الله في حياتي؟ ما هي مشيئته لي؟ هل أؤمن بالمسيح؟ هل أنا مهتم بأن أجد ما عليّ فعله، وكيف أفعله، على أساس المكان الذي وضعني فيه الله وبمقتضى الأحكام التي أتاحتها لي؟

قد لا يكون المسيحي، سواء أكان من الكهنة أم العلمانيين، مخلصًا حقًا للمسيح؛ في الواقع، قد لا يمتلك الإلهام والقوة لمثل هذا التفاني. قد لا يكون على دراية بالأهمية الحقيقية للكنيسة والكتاب المقدس والأمور الروحية. ولكن يمكن لكل شخص أن يمتلك إرادة جادة ويسعى إلى الروح. يمكن لكل شخص أن يختار أن يكون مؤمنًا بقراره الشخصي والتزامه. بالإيمان نعني التوق إلى الله والاعتراف بحاجتنا إليه والاستعداد للتوجه إليه بشجاعة وتوبة.

الإيمان الحقيقي ليس تأكيدًا نظريًا لفكرة وجود الله بل هو بحث شخصي عن الله كأبٍ محبٍ لنا ورجاءٍ لا ينضب. الصلاة البسيطة تكون فعّالة إذا كانت متواضعة، صادقة، مستمرة: "يا رب، أنا لك؛ ساعدني في عدم إيماني. روحاً جديداً اخلق في داخلي. أعطني الفهم، شدّد نفسي لأطيع وصاياك. أنت يا رب ملجئي وقوتي، نوري ورجائي!" الله ينظر مباشرة إلى أعماق الروح. يستجيب لشوق القلوب الصادقة المطيعة. تصير نعمة الله فاعلة كما نشتهي، على قدر حاجتنا، كما هو مُرتجى، كما يُصلّى من أجله، كما هو مرحّب به، كما هو مطبق في الطاعة المتواضعة كل يوم.

ليست الحياة الجديدة في المسيح إنجازًا للحكمة البشرية أو المهارات الأكاديمية أو الأساليب الفعّالة. إنها هبةٌ نتلقاها من خلال إعادة توجيه أرواحنا وعقولنا إلى الله، والعمل على فعل الصواب في جميع المواقف، وفي نفس الوقت محبة الله ووضع ثقتنا به. طالما أن المسيحي يسلك مصليًا ومتواضعًا ومنفتحًا وصادقًا في طاعته اليومية لتعاليم المسيح، فإن نعمة الله تقويه وتوجهه بطرق مذهلة. قال المسيح: "جئت لألقي ناراً على الأرض" (لوقا ١٢: ٤٩) إنها نار الروح القدس، نار محبة الله الشافية والمجدّدة، إنها النار المقدسة التي حرّكت الرسل والقديسين وعدداً لا يحصى من الرجال والنساء على مرّ القرون. هذه النار نفسها حقيقية وفعّالة اليوم للذين يحبّون الله ويلتزمون بالعيش بمحبته في حياة الكنيسة.

Source: Orthodox Christian Reflections, 01 December 2021. <https://skepseis.us/writings/f/connecting-with-god-1>